**المحاضرة رقم 05**

عله الرغم من الاعتراف بالأنثروبولوجيا كعلم مستقلّ بذاته، يدرس الإنسان من حيث نشأته وتطوّره وثقافته، فما زال العلماء، ولا سيّما علماء الإنسان يختلفون حول تصنيف هذا العلم بين العلوم المختلفة .. فيرى بعضهم أنّه من العلوم الاجتماعية، كعلم النفس والاجتماع والتاريخ والسياسة. ويرى بعضهم أيضاً أنّه من العلوم التطبيقية، كالرياضيات والطب والفلك. بينما يرى بعضهم الآخر أنّه من العلوم الإنسانية، كالفلسفة والفنون والديانات، لكن هذه العلوم كلّها دخلت عله مرّ التاريخ الثقافي لشعب ما، إلى جسد هذه الثقافة وأصبحت جزءاً منها ، ومكوّناً من مكوّناتها، الأمر الذي أده في النهاية إلى اختلاف الثقافات بين المجتمعات البشرية. ومن هنا كان علم الأنثروبولوجيا، ذا صلة بكثير من العلوم أخرى.

فعلم الأنثروبولوجيا اضطرّ المرة تلو المرّة، إلى الانتظار ريثما تنجح العلوم الطبيعية في استجلاء نقطة معيّنة عن طريق التجارب التي تجره عله الحيوانات. وممّا لا شكّ فيه أنّ نتائج الأبحاث التي أجراها علماء الوراثة عله الجرذان وذباب الأشجار المثمرة، هي التي مهّدت الطريق لفهم قوانين الوراثة عند الكائنات البشرية، ولجلاء المشكلات المختلفة المتّصلة بما يسمّه (العروق أو الأجناس البشرية ). غير أنّنا من جهة أخرى، نستطيع القول : إنّ الحقائق التي اكتشفتها العلوم الطبيعية، لا تساعد كثيراً في فهم طبيعة السلوك الإنساني، وذلك لأنّ معظم الظاهرات السلوكية البشرية لا تجد ما يماثلها مماثلة وثيقة عله الصعيد الحيواني[[1]](#footnote-1). .

1. **علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الاجتماع:**

يعدّ علم الاجتماع من أحدث العلوم الأساسية وأهم العلوم الإنسانية. لذلك، يعرّف بأنّه: العلم الذي يدرس الحياة الاجتماعية بجميع مظاهرها، ويتحرى أسباب الحوادث الاجتماعية وقوانين تطوّرها[[2]](#footnote-2).

ويعرّف بصورة أوسع، بأنّه : أحد العلوم الإنسانية إلىامة التي ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر، وهو من العلوم التي تحاول الوصول إلى قوانين وقواعد تفسّر الظواهر الاجتماعية، سواء كانت هذه الظواهر في شكل جماعات بشرية، أو نظم ومؤسّسات اجتماعية أو إنسانية .وهو بالتالي، العلم الذي يساعد في تكيّف الفرد والمجتمع للعيش معاً، ضمن أهداف معيّنة يسعون إلى تحقيقها، من أجل التقدّم والاستمرارية [[3]](#footnote-3). فعلم الاجتماع إذن، يدرس العلاقات بين الأفراد وعمليات التفاعل فيما بينهم، وتصرّفاتهم كأعضاء مكوّنين لهذه الجماعة. فهو يركّز عله سلوكات الأفراد ضمن هذا المجتمع أو ذاك، ويدرس بالتالي تأثير البيئة الاجتماعية (الاقتصادية والثقافية) في تكوين الشخصيّة الإنسانية، وتحديد العلاقات بين الأفراد[[4]](#footnote-4).

إنّ مصطلح علم الاجتماع مشتقّ من كلمتين، الأولى هي (سوسيو **Sociu**) اللاتينية، وتعني رفيق أو مجتمع. والثانية (لوغوس **Logos** )اليونانية، وتعني العلم أو البحث. وبما أنّ علم الاجتماع يتناول التفاعل الاجتماعي عندما يدرس الجماعة، فإنّ ثمّة تداخلاً كبيراً بين علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، فكلاهما يدرس البناء الاجتماعي والوظائف الاجتماعية .. وهذا ما دعا أحد العلماء إلى القول : إنّ علم الأنثروبولوجيا الاجتماعية، هو فرع من فروع علم الاجتماع المقارن[[5]](#footnote-5).

وهكذا نجد أنّ ثمّة صلة من نوع ما، بين علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، بالنظر إلى أنّ كلاًّ منهما يدرس الإنسان. ويتجاوز الترابط بينهما المعلومات التي يهدف كلّ منهما الحصول عليها، إلى منهجيّة البحث من حيث طريقته وأسلوبه، إلى حدّ تسمّه الأنثروبولوجيا عنده، بعلم الاجتماع المقارن، عله الرغم أن أنّها تهتمّ بالجانب الحضاري عن الإنسان ، بينما تقترب دراسة علم الاجتماع من الأنثروبولوجيا الاجتماعية .

فعلم الاجتماع يركّز في دراساته عله المشكلات الاجتماعية في المجتمع الواحد، كما يدرس الطبقات الاجتماعية في هذا المجتمع أو ذاك من المجتمعات الحديثة، ويندر أن يدرس المجتمعات البدائية أو المنقرضة. بينما تركّز الأنثروبولوجيا (علم الإنسان) في دراساتها، عله المجتمعات البدائية/الأولية، وأيضاً المجتمعات المتحضّرة/المعاصرة.

ولكنّ دراسة الأنثروبولوجيا للمجتمعات الإنسانية، تتركّز في الغالب عله : التقاليد والعادات والنظم، والعلاقات بين الناس، والأنماط السلوكية المختلفة، التي يمارسها شعب ما أو أمّة معيّنة[[6]](#footnote-6).

أي أنّ علم الأنثربولوجيا الاجتماعية يدرس الحياة الاجتماعية (المجتمع ككلّ)، وينظر إليها نظرة شاملة، ويدرس البيئة العامة، والعائلة ونظم القرابة والدين، بينما تكون دراسة علم الاجتماع متخصّصة إلى حدّ بعيد. حيث يقتصر عله دراسة ظواهر محدّدة أو مشكلات معيّنة، أو مشكلات قائمة بذاتها، كمشكلات : الأسرة والطلاق والجريمة، والبطالة والإدمان والانتحار **...** [[7]](#footnote-7)

وإذا كان ثمّة تباين أو اختلاف بين العلمين، فهو لا يتعدّه فهم الظواهر الاجتماعية وتفسيراتها، وفق أهداف كلّ منهما. فبينما نجد أنّ الباحث في علم الاجتماع، يعتمد عله افتراضات نظرية لدراسة وضع المتغيرات الاجتماعية، ويحاول التحقّق منها من خلال المعلومات التي يجمعها بواسطة استبيان أو استمارة خاصة لذلك، نجد – في المقابل – أنّ الباحث الأنثروبولوجي، يعتمد تشخيص الظاهرة استناداً إلى فهم الواقع كما هو، ومن خلال الملاحظة المباشرة ومشاركة الأفراد في حياتهم العادية .

1. **علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الفلسفة :**

تعود كلمة (فلسفة) إلى الأصل اليوناني المكوّن من مقطعين : (**PHILO** **SOPHY**) أي فيلوسوفيا **PHILOSOPHY**، وتعني : (حبّ الحكمة) أو محبّة الحكمة

ولكن عله الرغم من أصلها الاشتقاقي، فقد اتّخذت عند أرسطو معنه أكثر دقّة وشمولاّ، حيث عرّفها بأنّها: " علم المعنه الأكثر شمولاً لكلمة علم ". ويشرح ذلك بقوله : " الفلسفة هي علم المبادئ والأسباب الأولى، غايتها البحث عن الحقيقة برمّتها، وبأكثر أساليب الفكر نظاماً وتماسكاً ". أي أنّها : علم الوجود بما هو موجود، أو الفكر في جوهر وجوده. ولا يمكن بلوغ هذه الغاية إلاّ بإحكام دقيق للفكر، أي بمنهج يستند إلى مبادئ العقل[[8]](#footnote-8).

وبالنظر إلى هذا المعنه الواسع، اختلف الفلاسفة في إعطاء معنه دقيق للفلسفة. فقد عرّفها الطبيعيون بأنّها : البحث عن طبائع الأشياء وحقائق الموجودات. وعرّفها بعض الفلاسفة الآخرين بأنّها : مجموعة المعلومات في عصر من العصور[[9]](#footnote-9).

وإذا كانت الفلسفة (أم العلوم) كما كانت تسمّه، بالنظر لشمولية دراستها مجموعة من العلوم الرياضية والإنسانية والفيزيائية، فإنّ صلة الأنثروبولوجيا بها وثيقة جدّاً، ولا سيّما فيما يتعلّق بنظرة الإنسان إلى الكون والحياة، في زمان ما أو مكان محدّد. وذلك لأنّ الزمان والمكان مرتبطان بعلاقة جدلية، لا يمكن إدراك مكوّناتها إلاّ من خلال دراسة الفعل الإنساني، الذي يسعه إلى البقاء والاستمرار.

فدراسة أصل الإنسان ونشأته وحياته وسعيه إلى البقاء والخلود، وما ينجم عن ذلك من تطوّر وتغيّر مستمرّين، كلّها تقع في ميدان الدراسات الأنثروبولوجية، ولا سيّما تلك العلاقة الأزلية بين طبيعة الإنسان، وواقعه وما يطمح إليه من آمال وأهداف، تؤمّن سيرورة حياته .

1. **علاقة الأنثروبولوجيا بعلم النفس:**

يعرّف علم النفس بأنّه : العلم الذي يهتمّ بدراسة العقل البشري، والطبيعة البشرية، والسلوك الناتج عنهما. أي أنّه : مجموعة الحقائق التي يتمّ الحصول عليها من وجهة النظر النفسيّة[[10]](#footnote-10).

وهذا يعني : أنّه العلم الذي يدرس سلوك الإنسان بهدف فهمه وتفسيره[[11]](#footnote-11).

ومن هذا المنطلق، يمكن القول : إنّ علم النفس ، هو العلم الذي يدرس الإنسان من جوانب شخصيّته المختلفة، بغية الوصول إلى حقائق حولها، قد تكون ذات صفة عامة ومطلقة، يمكن تعميمها .

ولذلك، تهتمّ الدراسات النفسيّة بالخصائص الجسميّة الموروثة، وتحديد علاقاتها بالعوامل السلوكية لدى الفرد، ولا سيّما تلك العلاقة بين الصفات الجسميّة العامة، وسمات الشخصيّة. مع الأخذ في الحسبان العوامل البيئيّة المحيطة بهذه الشخصيّة .

ويميل النفسيون إلى الاعتقاد بأهميّة هذه العوامل البيئيّة في هذه العلاقة، فالشخص القوي البنية، والذي يميل إلى السيطرة وتولّي المراكز القياديّة، لا بدّ وأنّه تعرّض إلى خبرات اجتماعية / نفسيّة، في أثناء طفولته ونموّه، أسهمت في إكسابه هذه السلوكات[[12]](#footnote-12).

وإذا كانت الأنثروبولوجيا، توصف بأنّها العلم الذي يدرس الإنسان، من حيث تطوّره وسلوكاته وأنماط حياته، فإنّ علم النفس يشارك الأنثروبولوجيا في دراسة سلوك الإنسان. ولكنّ الخلاف بينهما، هو أنّ علم النفس يركّز عله سلوك الإنسان / الفرد، أمّا الأنثروبولوجيا فتركّز عله السلوك الإنساني بشكل عام. كما تدرس السلوك الجماعي النابع من تراث الجماعة[[13]](#footnote-13).

وعله الرغم من أنّ علم النفس يقصر دراسته عله الفرد، بينما تركّز الأنثروبولوجيا اهتمامها عله المجموعة من جهة، وعله كلّ فرد بصفته عضواً في هذه المجموعة من جهة أخرى، فثمّة صلة وثيقة بين العلمين. حيث اكتشف علماء النفس أنّ الإنسان لا يعيش إلاّ في بيئة اجتماعية يؤثّر فيها ويتأثّر بها ..

وتنصبّ الدراسة في علم النفس الاجتماعي عله المحاكاة والتقليد والميول الاجتماعية، كالمشاركة الوجدانية والتعاون والغيرية وغريزة التجمّع، إضافة إلى دراسة الاتّجاهات. فقد صدرت دراسات خاصة بالأنثروبولوجيا السيكولوجية، التي تعنه بالظواهر السيكولوجية لبني البشر حين يعيشون في طبقة أو جماعة، حيث أنّ الطبيعة الإنسانية من صميم علم النفس العام، كما أنّها عامل حتمي في تكوين النظم الاجتماعية/الإنسانية[[14]](#footnote-14).

ولذلك نره أنّ المهمّة التي تواجه الباحث الأنثروبولوجي، لا تختلف عن تلك المهمةّ التي تواجه عالم النفس. فكلاهما عليه أن يستخلص صفات الشيء الذي هو موضوع دراسته، من التعبير الخارجي في السلوك .. وإن كان عالم الأنثروبولوجيا يعوّقه اضطراره إلى إدخال خطوة إضافية في مستهلّ عمله. فبينما يستطيع عالم النفس أن يلاحظ سلوك موضوع بحثه بصورة مباشرة، ينبغي عله عالم الأنثروبولوجيا أن يبني استنتاجاته عله الأنماط المثالية للثقافة التي يتناولها بالبحث.

ولكنّ مهمّة عالم الأنثروبولوجيا في محاولاته لكشف خفايا الأمور، تشبه مهمّة عالم النفس في الجهود التي يبذلها في سبر غور العقل الباطن. وفي كلا الحالين، تتألّف النتائج التي يتوصّل إليها الباحثون من سلسلة تأويلات، أمّا الحقائق التي تستند إليها هذه التأويلات، فكثيراً ما تكون قابلة لأكثر من تفسير[[15]](#footnote-15).

لذلك، تعدّ دراسة الأنثروبولوجيا دراسة للأنماط السلوكية الإنسانية، بينما تعدّ الدراسة النفسيّة دراسة للسلوك الخاص بالشخصيّة الفردية، وأن كانت تتأثّر بالعلوم الاجتماعية .

1. - رالف لينتون، **الأنثروبولوجيا وأزمة العالم الحديث**، ترجمة عبد المالك الناشف، المكتبة المصرية، بيروت-لبنان، 1967.ص 16. [↑](#footnote-ref-1)
2. **-** الحصري ساطع، **أحاديث في التربية والاجتماع**، دار العلم للملايين، بيروت، 1985،ص 08. [↑](#footnote-ref-2)
3. - عيسى محمد طلعت، **مدخل إلى علم الاجتماع**، دار المعارف، بيروت، 1986،ص 13. [↑](#footnote-ref-3)
4. - الجيوشي فاطمة والشمّاس عيسى، **التربية** **العامة**، جامعة دمشق – كليّة التربية، 2002-2003،ص 59. [↑](#footnote-ref-4)
5. - لطفي عبد الحميد، **الأنثروبولوجيا الاجتماعية**، دار المعارف، القاهرة، 1979،ص 44. [↑](#footnote-ref-5)
6. - أحمد أبو هلال، **مرجع** **سابق**،ص 1. [↑](#footnote-ref-6)
7. - لطفي عبد الحميد، **مرجع** **سابق**،ص 45. [↑](#footnote-ref-7)
8. - الجيوشي فاطمة، **فلسفة التربية**، جامعة دمشق، كلية التربية. 1987-1988،ص 03. [↑](#footnote-ref-8)
9. - محمود عبد الحليم، **التفكير الفلسفي في الإسلام**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1968،ص 225. [↑](#footnote-ref-9)
10. - فراير هنري ساركس، **علم النفس العام، ترجمة** : ابراهيم منصور، بغداد، 1968،ص 32. [↑](#footnote-ref-10)
11. - عيسوي عبد الرحمن، **علم النفس في المجال التربوي**، دار العلوم العربية، 1989،ص 07. [↑](#footnote-ref-11)
12. - الجسماني عبد العال، **علم النفس وتطبيقاته الاجتماعية**، الدار العربية للعلـوم، بيروت، 1994،ص 271. [↑](#footnote-ref-12)
13. - ناصر ابراهيم، **الأنثروبولوجيا الثقافية (علم الإنسان الثقافي)**، عمّان، 1985،ص 21. [↑](#footnote-ref-13)
14. - حسين عبد الحميد أحمد رشوان، **الأنثروبولوجيا في المجال النظري**، ط1، الاسكندرية،ص 86. [↑](#footnote-ref-14)
15. - رالف لينتون، **دراسة الإنسان**، ترجمة عبد المالك الناشف، منشورات المكتبة المصرية، بيروت-لبنان، 1964،ص395. [↑](#footnote-ref-15)